مجلة أبوليوس
المجلد 13 العدد 2 – جويلية 2026
الصفحات: 71- 86

إستراتِيجيَّاتُ الوَصْلِ عند شَايِيم بيرلمان وأُلبِيرتْ تِيتِيكا وتَطبيقَاتُها على الخِطاب

Association Strategies of Chaïm Perelman and Lucie Olbrechts-Tyteca and Their Applications to Discourse

د. سـامي قديم*
جامعة محمَّد الشَّريف مساعديَّة سُوق اهراس (الجزائر)، s.gueddim@univ-soukahras.dz
مخبرُ الدِّراساتِ اللُّغويَّة والأدبيَّة

تاريخ الاستلام: 2026/01/26 تاريخ القبول: 2026/07/15 تاريخ النشر: 2026/07/31

ملخَّص البَحثِ:

يَندَرِجُ هَذَا البَحْثُ في سِيَاقِ المُقَارَبَةِ الحِجَاجِيَّةِ الإقنَاعِيَّة للخِطابِ حَسَبَ بَلَاغَةِ بيرلمان الجدَيدَةِ، حيثُ تَبحثُ هذه التِّقنياتُ الحِجاجيَّةُ الَّتي أسَّس لها على تَناسُق وانسِجامِ الخِطابِ مَعَ المَقَامِ الَّذِي يَرِدُ فيه، بحيثُ يَتَطَابَقُ المَوضُوعُ وأُسلُوبُه ليُشَكِّلا لُحمةً واحِدةً، وَبِذَلِكَ يَتفَادَى المُحَاجِجُ كثيرًا مِنَ المُنغِّصاتِ الَّتي تَضطرُّهُ إلى تَغيِيرِ مَواقِفِه، فيَفْقِدُ الحِجَاجُ مِصدَاقيَّتهُ وَيَضِيعَ إقنَاعُهُ، وبِشَكْلٍ عَامّ فالبَلاغَةُ الجدِيدَةُ تَسْعى إلى إعَادةِ إحيَاءِ وتَوسِيعِ مَفهُومِ البَلاغةِ الكَلاسِيكيَّةِ، ولتَحقيقِ تلكَ الرُّؤيةِ، طبَّقتُ هذه الإستَرَاتِيجيَّاتِ/ التِّقنياتِ على عدّةِ خِطاباتٍ مُتنوّعةٍ قَصْدَ دِراسةِ نجَاعَتِها وبيانِ فَاعِلِيَّها في تَحلِيلِ الخِطابِ والحُكمِ عليهِ.

الكلمـــات المفتاحيـــة: البلاغـةُ الجديـدةُ، الإستراتيجيَّاتُ البلاغيَّة، الحِجاج.

Abstract:

This research falls within the scope of the persuasive argumentative approach to discourse, based on Perelman's New Rhetoric. The argumentative techniques he established are based on the coherence and harmony between discourse and the context in which it occurs. This ensures that the subject matter and its style align to form a unified whole. In this way, the arguer avoids many obstacles that might compel them to alter their position, which could undermine the credibility of the argument and compromise its persuasiveness. Generally, the New Rhetoric aims to revive and expand the concept of classical rhetoric. To achieve this aim, I applied these strategies/techniques to various discourses to examine their efficacy and demonstrate their effectiveness in discourse analysis and evaluation.

Keywords: New Rhetoric, Rhetorical Strategies/Techniques, Argumentation.

* المؤلف المراسل

مقدمة:

لَطالَمَا شَكَّلتْ قَضيَّةُ الإقنَاعِ والتَّأثيرِ في الآخَرِينَ مِحْورَ اهتِمَامِ الفَلاسِفَةِ والخُطبَاءِ على مَرِّ العُصُورِ، غيرَ أنَّ هذا الاهتِمَامَ اكتَسَبَ بُعدًا جَديدًا وعُمْقًا فَريدًا معَ الفَيلَسُوفِ البلجيكيّ **شَايِيم بيرلمان (*chaïm perelman*)** وشَريكتِهِ **لُوسِي أُولبِريشْت تِيتِيكَا (*ʁucie olbrechts-tyteca*)** ففي سِياقِ سَعيِهما لإعَادَةِ الاعتِبَارِ للبَلاغَةِ، الَّتي تَرَاجَعَتْ مَكَانتُها أمَامَ صَرَامَةِ المَنطِقِ الصُّوريّ والبُرهانِ العِلميّ، قَدَّمَ بيرلمان مَفهُومًا للحِجاجِ يَختلفُ جذريًّا عنِ التَّصوُّراتِ التَّقليديَّةِ، فلَمْ يَعُدِ الحِجاجُ مُجرَّدَ مجموعةٍ مِنَ الحِيَلِ الخطابيَّةِ أو فُنونِ تزيينِ الكَلامِ، بلْ تَحوَّلَ إلى مَنطقٍ غيرِ صُوريٍّ يَهدفُ إلى كَسْبِ إذعَانِ الأذهَانِ مِنْ خِلالِ النِّقاشِ العَقلانيّ القَائمِ على القِيَمِ والمُسلَّماتِ المُشتركةِ.

لقد سَعى بيرلمان، مِن خلالِ نظريتِهِ "البلاغةِ الجديدةِ"، إلى إبرازِ الدَّورِ المحوريّ للحِجاجِ في بناءِ المَعرفَةِ الإنسانيَّةِ وصِياغَةِ القَرارَاتِ (***Build human knowledge and formulate decisions***) في مُختلفِ مَجالَاتِ الحَياةِ، مِنَ القَانُونِ إلى السِّياسةِ وُصولاً إلى الحِوارَاتِ اليَوميَّةِ، وهَدَفُنا منْ هذهِ الدِّراسَةِ تَطبيقُ تِقنياتِ الحِجاجِ عندَ بيرلمان على تحليلِ الخِطابِ مِن مَنظُورِ البَلاغةِ الجَديدَةِ، الَّتي تُركِّزُ على دِراسَةِ تِقنيَاتِ الخِطابِ الَّتي مِن شأنِها أَنْ تُؤدِّيَ بالأذهانِ إلى التَّسليمِ بِما يُعرَضُ عليها مِنْ أطرُوحَاتٍ، أو أنْ تَزيدَ في دَرجةِ ذلكَ التَّسليمِ، بمعنى آخَرَ، يهتمُّ بيرلمان بِكيفيَّةِ إقناعِ المُتلقِّي والتَّأثيرِ عليهِ مِن خلالِ الخِطابِ، وليسَ فقط بالبراهينِ المنطقيَّةِ الصَّارمةِ.

وإنَّ الحَديثَ عن رؤيةِ بيرلمان للحِجَاجَ على أنَّه الوَسيلةُ الَّتي نَستَخدِمُها في حَياتِنا اليَوميَّةِ لإقناعِ الآخَرينَ والتَّفاوُضِ واتِّخاذِ القَرَاراتِ في ظِلِّ غِيابِ اليَقينِ المُطلَقِ، وأنَّهُ يُعيدُ للبَلاغةِ دَورَها المِحوريَّ كأداةٍ للمَعرفَةِ والتَّأثيرِ في الشُّؤونِ الإنسانيَّةِ والاجتِماعيَّةِ والقانونيَّةِ، وذلكَ مِن خِلالِ مُخاطبَةِ العُقولِ والنُّفوسِ على حَدٍّ سواءٍ، يقُودُنا إلى طرحِ الأسئلة الآتية:

- ✓ فما المَفهومُ الدَّقيقُ للحِجاجِ في فِكرِ بيرلمان؟
- ✓ وكيفَ يَتمُّ توظيفُ هذه التِّقنيَاتِ على الخِطابِ؟
- ✓ وما الغَايةُ الوَظيفيَّةُ التي يَسعى هذا الحِجاجُ إلى تحقيقِها في سياقِ التَّفاعلِ الإنسانيّ؟
- ✓ وكيفَ يُساهمُ هذا التَّصورُ في فَهمِ طَبيعةِ الإقناعِ في عَالَمٍ تتنَوَّعُ فيه الخِطابَاتُ وتتغيَّرُ؟

01- البَلاغَةُ الجَدِيدَةُ عند بيرلمان – أسُسٌ في المَبْنى والغَايَةِ- :

لقَدْ أعَادَ البَلجِيكيُّ بيرلمان إحياءَ مَفهُومِ الحِجَاجِ في الفِكرِ المُعاصِرِ، وقَدَّمَ نَظَرِيَّةً شَامِلَةً تُعرَفُ بِاسْمِ "البَلاغةِ الجَديدَةِ (*The New Rhetoric*)"، ويُرَكِّزُ هذا المَفْهُومُ على الجَانِبِ غَيْرِ الشَّكْلِيّ لِلاسْتِدلالِ، بِخِلافِ المَنطِقِ الصُّوريّ الَّذي يَهتمُّ بالبَراهينِ الرِّياضِيَّةِ أو العِلميَّةِ، فالحِجَاجَ عنده: "دِراسَةُ تَقنِيَاتِ الخِطابِ الَّتي تَهدُفُ إلى إحْدَاثِ أو زِيادَةِ إذْعانِ الأذهَانِ للأُطرُوحَاتِ المَعرُوضَةِ عليها"[1]، إنَّهُ لا يَسعَى إلى إثبَاتِ "الحَقيقَةِ المُطلَقَةِ" بِطَريقَةٍ يَقِينِيَّةٍ كما يَفعلُ البُرهانُ المَنطِقيُّ، بلْ يَهدُفُ إلى إقناعِ جُمْهورٍ مُعَيَّنٍ بقبولِ فِكرَةٍ أو اتِّخاذِ قَرارٍ. ويُمْكِنُ تَفْصيلُ هذا المَفهومِ في النِّقاطِ التَّاليةِ:

- الجُمْهورُ هو المِحْوَرُ: يَعتَبِرُ بيرلمان أنَّ الحِجاجَ مُوَجَّهٌ دائمًا إلى جُمْهورٍ، سواءً كانَ جُمْهورًا خاصًّا (فَرْدٌ أو مَجموعةٌ مُعَيَّنةٌ) أو جُمْهورًا عالَمِيًّا[2]، أي: الجُمْهورُ المِثاليُّ الذي يَتكوَّنُ مِن جَميعِ العُقولِ العاقِلَةِ والمُختَصَّةِ. نَوعُ الجُمْهورِ يُحَدِّدُ طَبيعةَ الحُجَجِ المُستَخدَمَةِ.

- الخِطابُ الطَّبيعيُّ: يَتِمُّ الحِجاجُ عَبْرَ اللُّغَةِ الطَّبيعِيَّةِ، وليسَ عَبْرَ الرُّموزِ المَنطِقِيَّةِ الصَّارِمَةِ. هذا يَعني إنَّهُ يَتأثَّرُ بالسِّياقِ والعَواطِفِ والقِيَمِ، وهي أُمورٌ لا يَهتمُّ بها المَنطِقُ الصُّوريُّ.

- الإذْعانُ لا اليَقينُ: الهَدَفُ ليسَ إجبارَ العُقولِ على التَّسليمِ بالحَقيقَةِ بشَكلٍ مُطلقٍ، بلْ الحُصولُ على إذْعانِها، أيْ قبولِها للأُطروحةِ أو زِيادَةِ دَرجةِ هذا القَبولِ[3]. وهذا الإذْعانُ يكونُ احتماليًّا وليسَ يَقينيًّا.

- الانطِلاقُ مِن المُسَلَّماتِ المَقبولَةِ: يَعتَمِدُ الحِجاجُ على فَرْضِيّاتٍ ومُقَدِّماتٍ يَقبلُها الجُمهورُ بالفِعلِ[4]، فالخَطيبُ يَجبُ أنْ يَنطَلِقَ مِمّا هو مُشتَرَكٌ ومَقبولٌ بَيْنَهُ وبَيْنَ جُمهورِهِ لِيَبنِيَ حُجَجَهُ.

- تَقنِيَاتُ الخِطابِ: يَدرُسُ بيرلمان مُختلفَ تَقنِيَاتِ الحِجاجِ، مِثلَ الحُجَجِ شِبهِ المَنطِقِيَّةِ، الحُجَجِ القائمةِ على بِنْيةِ الواقِعِ، والحُجَجِ التي تُؤسِّسُ بِنْيةَ الواقِعِ (كالاِسْتِدلالِ بالنَّموذَجِ والمِثالِ).

ومِن خِلالِ هذهِ المُنطلَقاتِ، فإنَّ الغايَةَ الأساسِيَّةَ للحِجاجِ عندَ بيرلمان هي إقناعُ الجُمْهورِ أو زِيادَةُ دَرجةِ قناعَتِهِ بِما يُعرَضُ عليهِ مِن أُطروحَاتٍ، بِهَدَفِ دَفعِهِ إلى العَمَلِ (سواءً كانَ إنجازًا لِشَيْءٍ أو إحجَامًا عنه) أو تَغييرِ قَنَاعَاتِهِ، فالحِجَاجُ هو الوَسيلةُ التي نَستَخدِمُها في حَياتِنا اليومِيَّةِ لإقناعِ الآخَرينَ، والتَّفاوُضِ، واتِّخاذِ القَراراتِ في ظِلِّ غِيابِ اليَقينِ المُطلقِ، إنَّهُ يُعيدُ للبَلاغةِ دَورَها المِحوريَّ كأداةٍ للمَعرفَةِ والتَّأثيرِ في الشُّؤونِ الإنسانِيَّةِ والاجتِماعِيَّةِ والقانونِيَّةِ، وذلكَ مِن خِلالِ مُخاطبَةِ العُقولِ والنُّفوسِ على حَدٍّ سواءٍ.

02- الإستراتيجيَّاتُ البلاغيَّةُ عند بيرلمان وتيتيكا (طرائقُ الوَصْلِ أنموذَجًا):

لِتقنياتِ الحِجاجِ الَّتي وَضَعها "بيرلمان" أهميَّةٌ كبيرةٌ في الدَّرسِ اللِّسانيِّ البلاغيِّ، إذْ تُعدُّ مِنَ الآليَّاتِ الَّتي تتكوَّنُ منها البِنيةُ الحِجاجيَّةُ، ما يعني إنَّها أساسُ بِنَاءِ النُّصوصِ الحِجاجيَّة، والقارئُ لكتاب **"عبد الله صُولة"** "في نظريَّة الحِجاج دراسات وتطبيقات" وهو ترجمةٌ علميَّةٌ جادَّةٌ وأصيلة لكتابِ "بيرلمان وتيتيكا" –البلاغةُ الجديدة- يجدُ المُؤلِّفَيْنِ قَدْ جَعَلَا قِسْمًا هامًّا مِنَ الكِتابِ لهذه التِّقنيات وقد حَصَرَاها في قسمين كبيرين، هما: طرائقُ الوصلِ والاتِّصال، و طرائقُ الفصل، مُتحدِّثين عن طاقاتها الإقناعيَّة والتَّأثيريَّة في المتلقي، وسنتّخذُ مِنْ طرائقِ الوَصلِ والاتِّصال أنموذجًا للدِّراسةِ، فطرائقُ الوَصْلِ والاِتِّصَالِ (***Procédés de liaison***) هي الطَّرائقُ الَّتي تُقرِّبُ بين العناصرِ المُتباينةِ بدءًا مِنَ الأصْلِ، وتُنْتِجُ ضَرْبًا مِنَ التَّضامُنِ بينها لغايةٍ هيكَلَتها، أي: إبرازِها في بِنْيةٍ واضحةٍ لأجْلِ تقويمِ أحدِ هذه العناصرِ بواسطةِ الآخرِ تقويمًا إيجابيًّا أو سلبيًّا"[5]، وقد حصرها "بيرلمان وتيتيكا" في:

1.2 الحُججُ شبه المنطقيَّة (*les arguments Quasi-logiques*):

تتعلَّقُ بالذِّهن والمنطق العقليّ للإنسان، وسبب التَّسمية بـ: "شبه المنطقيَّة" لأنَّها "غيرُ مُلزِمة بقَبُولها، ما يعني إنَّ نَتائِجهَا تَكُونُ نِسبيَّةً وغيرَ حَتْمِيَّة"[6]، وتُقسَّمُ هذه الحُجج إلى نَوعينِ:

1.1.2 حُجَجُ تَعتمِدُ البِنَى المَنطقيَّة:

1.1.1.2 التَّناقضُ وعدمُ الاِتِّفاق: (*Contradiction et incompatibilité*): في هذه التِّقنية يُقدِّمُ الحِجاجُ أطروحةً ما على أنَّها لا تتَّفقُ مع أخرى[7]، بمعنى: إنَّكَ تؤكِّدُ قضيَّة وتقومُ بنفْيِها في خطابٍ لغويٍّ داخلَ سياقٍ مُعيَّنٍ،

وفِي هذَا الحوَار مَا يُوضِّح هَذِه التِّقْنيَّة: " يَزعُم البعْض أنَّ التَّقَدُّم اَلعلْمِي الحديث، على الرَّغْم مِن إِنْجازاته الباهرة، قد حرم الإنْسان مِن جَوهَر إِنْسانيَّته وَعزله عن عَالَمِه الطَّبيعيّ. لكِن فِي الوقْتِ نَفسهِ، يَدعُون إِلى أنَّ العلْم هُو اَلسبِيل اَلوحِيد لِخلاص البشريَّة مِن كوارثِهَا البيئيَّة والاجْتماعيَّة. كَيْف يُمْكِن لِلْمنْهج نَفسِه اَلذِي يَتهم بِسَلب الرُّوح أن يَكُون هُو ذَاتُه اَلمنْقِذ الأوْحد؟ إِنَّهم يعيبون عليْه مَا يَصفُونه بـ: "التَّسْطيحُ المادِّيُّ" لِلْحياةِ، ثُمَّ يُطالبونه بِحلولٍ لِكلّ مُعضلَاتِ الوُجُودِ الرُّوحيَّة والماديَّةِ معًا. هذَا مَوقِفٌ لَا يَسْتَقِيمُ"[8]. هذَا النَّص يَطرَح مَوْقِفًا نَقديًّا تُجَاه خِطَابٍ مُعيَّنٍ (افتراضيّ) حَوْل العلم.

حُجَّةُ التَّنَاقُضِ هِي حَجَّةٌ مُبَاشرَة تُظهِرُ أَنَّ اِدِّعَاءَيْنِ لَا يُمكِنُ أنْ يَكُونَا صَحِيحَيْنِ فِي نَفْسِ الوَقتِ ؛ فَإِثْبَاتُ أحَدِهِمَا يَنفِي الآخَرَ تِلقَائِيًّا غَالِبًا مَا تَأْخُذُ شَكْل ***(P\ land\ neg P)*** ، أيْ: ***"P*** وَنَقِيض ***P*** ".

- التَّطْبِيقَ عَلَى النَّصّ:

* الاِدِّعَاءُ الأَوَّلُ: (**P**) التَّقَدُّمُ العِلْمِيُّ الحَديثُ حَرَمَ الإِنسَان مِنْ جَوْهَرِ إِنسَانِيَّتِهِ وَعزلَهُ عَنْ عَالَمِهِ الطَّبِيعِيّ.

* هَذَا الاِدِّعَاءِ يَرى العِلمَ قُوَّةً سِلبِيَّةً، تُجَرِّدُ الإِنسَان مِنْ قَيمٍ أَسَاسِيَّة وَتَفْصِلُه عن بِيئَتِهِ.

* الاِدِّعَاءُ الثَّانِي: ***neg P*** \:(بِشَكْلٍ ضِمْنِي):" يَدعُون إِلَى أَنَّ العِلمَ هُوَ السَّبِيلُ الوَحِيدُ لِخلَاصِ البَشَرِيَّةِ مِنْ كَوَارِثِهَا البِيئِيَّةِ وَالاجتِماعيَّةِ.

* هَذا الاِدِّعَاءُ يَرى العِلمَ قُوَّةً إِيجَابِيَّةً وَمُنْقِذَةً، قَادِرَةً عَلَى حَلّ المَشَاكِلِ الكُبرى الَّتِي تَوَاجُهِ الإِنسَانَ.

- التَّنَاقُضُ الصَّرِيحُ فِي النَّصّ: " كَيْفَ يُمكِنُ لِلمنهَج نَفسه الَّذِي يُتَّهَمُ بِسَلْبِ الرُّوحِ أَنْ يَكُونَ هُوَ ذَاتهُ المُنْقِذَ الأوْحَدَ ؟" الجُمْلَةُ الأَخِيرَةَ تُوضِّحُ هَذَا التَّنَاقُضَ بِشَكْلٍ مُبَاشرٍ:" فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ العِلمُ مُدَمِّرًا لِلرُّوْحِ، وإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَلَاصًا شَامِلًا، وَلَا يُمكنُ أَنْ يَكُونَا معًا دُونَ تَنَاقُضٍ صَارِخٍ.

إِنَّ النَّصُّ هُنَا لَا يُحَاوِلُ حَلَّ التَّنَاقُضِ، بَلْ يَسْتَغلُّه كَحُجَّةٍ لِرَفْضِ المَوْقِفِ الَّذِي يَحْمِلُ هَذَيْنِ الاِدِّعَاءَيْنِ المُتَنَاقِضَيْنِ، هُوَ يَفْضَحُ عَدَمَ الاِتِّسَاقِ المَنطِقِيّ فِي مَوْقِفِ الخَصْمِ (البَعْضُ الَّذِي يَزْعُمُ ذَلِكَ).

وعليه، فَهذَا الخِطابُ مُصمَّمٌ خِصِّيصًا لِيُبرِزَ كيف يُمْكِنُ لِكَاتبٍ (أو مُتحدِّثٍ) أنْ يَستَخدِمَ التَّناقُض الوَاضِحَ وعدمَ الاتِّساقِ فِي أفكارِ الخَصمِ كأداةٍ حِجاجِيَّة قويَّة لتَقوِيضِ مَوقِفِهِ، هو لا يُقدِّمُ حَلاً، بل يَكشِفُ عن نُقطةِ ضعفٍ جَوهريَّة فِي بِناءِ حُجَجِ الطَّرَفِ الآخرِ، ممَّا يَجعلُه غير مُقنِعٍ.

2.1.2 القاعدةُ التَّبادُليَّة (*La Règle de Réciprocité*): إنَّ العَدلَ أسَاسُ هذه القَاعِدَةِ (***la règle de justice***): "فالكائناتُ المُنتهِيةُ لصِنفٍ واحِدٍ؛ يجبُ أنْ تُعامَلَ بطريقةٍ واحدةٍ"[9]، وتبسِيطًا لهذه التِّقنية نُقدِّم مثالاً مِن خلال قولكَ لصديقِكِ مثلاً:

لا تُطالِبْنِي بِعَفْوٍ يا صَديقِي...

كَيْفَ تَطلبُ الصَّفحَ عن ذنبٍ عاقبتَ غيرَك بمِثلِه؟

لقَدْ آذَيْتَ أروَاحًا...

ولَمَّا جُرِحتَ، تُريدُ العَفْوَوالصَّفْحَا.

يَستَخدِمُ المُتكلّم هذه الحُجَّة لرَفْضِ طَلبِ الطَّرفِ الآخَرِ للصَّفحِ، أو لإثباتِ أنَّ هذا الطَّلَبَ غيرُ عادِلٍ وغيرُ مُتَّسقٍ مع سُلوكِ الطَّرفِ الآخرِ نفسِهِ. فهو يُقنِعهُ بأنَّ المعَامَلةَ بالمِثْلِ هي الأسَاسُ للإنصَافِ في العَلاقَاتِ، وأنَّ تطبيقَ قاعدةٍ على طَرَفٍ واستِثناءِ الآخَرِ منها هو ظُلمٌ.

فهذا النصُّ يُركِّزُ على الجانِبِ العاطِفيّ والاِجتِماعيّ للقَاعدةِ المُتبادَلةِ (***Le côté émotionnel et social de la règle réciproque***)، حيثُ يَتمثَّلُ "الإنصَافُ" في تَطبيقِ نَفسِ المَعايِيرِ على الأخطَاءِ المُتبادَلةِ، أو على الحُقُوقِ والواجِباتِ في العَلاقَةِ.

3.1.2 حُجَّة المُقارنة (*La Comparaison*): في هذه التِّقنية؛ يَكُونُ الحِجاجُ مَبنيًّا على المُقارَنةِ بَيْنَ الأشيَاءِ، والغَايَةُ مِنْ ذلك: التَّقييمُ، فلا يُمكِنُ "للحِجَاجِ أنْ يَذهبَ بَعيدًا إذا لَمْ يَعْمَدْ إلى المقُارنةِ"[10]، وتأتي المُقارنةُ إمَّا لرفْعِ مَكانةِ شَخصٍ/ شيءٍ أو الحطِّ منه، ولعلَّ النصَّ الَّذي كتبتُه باللُّغة الإنجليزيةَّ حولَ الذَّكاءِ الاِصطناعيّ في مُناقَشتي لأحَدِ الأصدِقَاءِ وترجَمتُه للعربيَّةِ ليَصلُح أنْ يَكُونَ ميدانًا للتَّدليلِ على هذه الحُجَّة وتَبسِيطِها:

"While artificial intelligence offers unprecedented efficiency in data processing and complex calculations, it fundamentally lacks the intuitive understanding and emotional depth inherent in human decision-making. A machine can analyze vast quantities of medical data to suggest a diagnosis, but it cannot empathize with a patient's fear or understand the subtle nuances of human suffering. In essence, AI excels at tasks that demand speed and precision, whereas humans are indispensable for roles requiring compassion, creativity, and moral judgment".

ترجمةُ النصِّ: "في حينِ يُقدِّمُ الذَّكاءُ الاصطناعيُّ كفاءةً غيرَ مَسبُوقةٍ في مُعالجَةِ البَيانَاتِ والعَمليَّاتِ الحِسابيَّة المُعقَّدةِ، فإنَّه يَفتَقرُ جَوهريًا إلى الفَهمِ البَديهيّ والعُمقُ العَاطفيّ المُتأصِّلِ في عَمليَّةِ اتِّخاذِ القَرارِ البشريّ. كَمَا يُمكِنُ للآلةِ تحليلُ كميَّاتٍ هائلةٍ مِنَ البَيانَاتِ الطبيَّةِ لاقتِراحِ تَشخِيصٍ، لكنَّها لا تَستَطيعُ التَّعاطُفَ مع خَوفِ المريضِ أو فَهْمِ الفُروقِ الدَّقِيقةِ لمُعانَاةِ الإنسَانِ. وفي جَوهَرِ الأمرِ، يَتفَوَّقُ الذَّكاءُ الاصطنَاعيُّ في المَهامِ الَّتي تَتطلَّبُ السُّرعةَ والدقَّةَ، بينما لا غِنًى عن البَشرِ في الأدْوارِ الَّتي تتطلَّبُ التَّعاطفَ والحُكمَ الأخلاقيّ".

في النصِّ أعلاه، تُستخدمُ حُجَّة المُقارَنةِ لإبرازِ الفُروقَاتِ الجَوهريَّةِ بينَ الذَّكاءِ الاصطناعيّ والقُدراتِ البَشريَّة، وتحديدِ نقاطِ قوَّة وضَعفِ كلٍّ منهما، فتُذكَرُ الفُروقاتُ بينَ المُقارنَيْنِ بإيرادِ مواطِنِ القوَّةِ والضّعفِ. فطرفَا المُقارنة:

* ط 1: الذَّكاءُ الاصطناعيُّ (***Artificial Intelligence - AI***) .

* ط 2: اتِّخاذُ القَرارِ/القُدراتُ البشريَّة (***Decision-Making/Human Capabilities***)

إنَّ الهدَفَ الحِجاجيَّ مِنَ المُقارنةِ هو إثباتُ أنَّ الذَّكاءَ الاصطنَاعيَّ على الرّغمِ مِنْ تَقدُّمِهِ لا يُمكنُه أنْ يَحلَّ مَحلَّ البَشرِ تَمامًا، خاصَّةً في الأدوَارِ الَّتي تتطلَّبُ قُدراتٍ إنسانيَّة فريدَة، فالنصُّ لا يدعُو إلى رَفضِ الذَّكاءِ الاصطناعيّ، بل يُحدِّدُ مَجالات تفوُّقِ كلٍّ طرفٍ، وبذلك يَستَخدِمُ الكَاتِبُ المُقارنَةَ لتَرسِيمِ الحُدودِ بينَ قُدراتِ الآلةِ والإنسانِ، فيُقنعُ المُتلقّي بأنَّ هناك قِيمةً متأصِّلةً في القُدراتُ البَشريَّةِ (التَّعاطُف، الإبدَاع، الحُكمُ الأخلاقيُّ) ولا يُمكنُ للآلةِ أنِ تحاكِيَها.

2.2 الحُججُ شِبهُ المنطقيَّةِ القائمةِ على العَلاقاتِ الرِّياضيَّةِ:

1.2.2 حُجَّةُ التَّعدية *(Transitivité)*: تُتيحُ هذه الخاصيَّة المُرورَ "مِنْ إثباتِ أنَّ العلاقةَ الموجُدةَ بينَ "ا" و"ب" مِنْ ناحيةٍ، ومِنْ "ب" و"ج" مِنْ ناحية أخرى، هي علاقةٌ واحدةٌ تقودُ إلى استنْتاجِ أنَّ العلاقةَ نفسها موجُودة بين

"ا" و"ج""[11]، ما يعني: إنَّها تقومُ على علاقةٍ استلزاميَّة، ولتوضيحِ الفكرة اخترتُ نصًّا مِن فِكرِ عبد الرَّحمان الكواكبيّ:

"إنَّ الاِستبدادَ المُطلقَ يُضعفُ إرادةَ الأمَّة ويُقلِّصُ مِنْ حُريَّاتها، وحين تَضعفُ إرادةُ الأمَّة وتُسلبُ حُريَّاتها، فإنَّها تُصبحُ عاجزةً عن النُّهوضِ وتُفتَقدُ فيها رُوحُ المُبادرةِ والإصلاحِ، وهذا العَجزُ عنِ النُّهوضِ وفُقدان رُوحُ المُبادرةِ هو الَّذي يُورثها التخلُّف والجَهلَ، ويُبعدُها عن رَكْبِ التقدُّم الحَضَاريّ"[12].

تُستخدمُ **حُجَّةُ التَّعدِيةِ** هُنا لبَيانِ سِلسِلةٍ مِنَ النَّتائجِ السّلبيَّةِ الَّتي تَنبُعُ مِنْ سَبَبٍ واحِدٍ، وهو الاِستِبدَادُ، وتَتسلْسلُ هذه النَّتائجُ بشكلٍ مَنطقيّ لتَصِلَ إلى أثرٍ نِهائيّ.

- المُقدِّمةُ الأولى: (ا تؤدِّي إلى ب).

* ا = الاِستبدادُ المُطلَق.

* ب = إضعافُ إرادة الأمَّةِ وتَقليص حريَّاتِها.

- المُقدِّمة الثَّانية: (ب تؤدي إلى ج).

* ب = ضعفُ إرادةِ الأمَّةِ وسَلب حريَّاتها. (وهي نتيجةُ المقدِّمة الأُولى).

* ج = العَجزُ عن النُّهوضِ وفُقدان رُوحِ المُبادرةِ والإصلاحِ.

* النَّتيجةُ النِّهائيَّة (ج تؤدِّي إلى د / وبالتَّالي ا تؤدي إلى د).

* ج = العَجزُ عن النهوض وفُقدان رُوحِ المُبادرة. (وهي نتيجةُ المُقدِّمة الثَّانية.

* د = التَّخلُّف والجَهلُ والاِبتعادُ عن ركبِ التقدُّم الحضاريّ.

فمنْ خلالِ هذه السِّلسلةِ المُتَّصلةِ، يُقيم الكواكبيُّ حُجَّةَ تعديةٍ قويَّة مَفادُها أنَّ الاستِبدادَ المُطلقَ (ا) يؤدي حتمًا إلى التَّخلُّفِ والجَهلِ والاِبتِعادِ عن التقدُّمِ الحَضاريّ (د).

إذنْ فالهدفُ الإقناعيُّ يَستخدِمُ هذه الحجَّة لإقناعِ القارئ بخُطُورةِ الاِستِبدادِ ليْسَ على الحريَّاتِ الفرديَّة، بل على مَصيرِ الأمَّةِ ككُلٍّ وتطوُّرهَا الحضَاريّ، وهو لا يَكتَفِي بالإشَارَةِ إلى الآثارِ المُباشِرةِ، بل يَتتبَّعُ النَّتائجِ لبيَانِ العَواقبِ النِّهائيَّةِ، ما يُضْفِي قُوَّةً على حُجَّته ومُقاومةِ الاِستِبدَادِ.

2.2.2 حُجَّة التَّقسيم (*Argument de Division*): وتعني تقسيم الكلّ إلى الأجزاء الَّتي تُؤسِّسه، فَلِمَ المُحاجَّةُ بهذا التَّقسيم ؟: "إنَّ الغاية الأساسيَّة لهذا التَّقسيمِ حسب "بيرلمان"؛ البرهنةُ على وُجودِ المجموع، ومِنْ ثمَّة تقوية الحُضور، بمعنى: إشعارُ الغيرِ بوُجودِ الشَّيء موضُوع التَّقسيم"[13]، ولتحليلِ هذه التِّقنيةِ أكثر، استَعنتُ بهذا النصّ[14]:

هذا الزَّمانُ الَّذِي نَحيَاهُ، فَاسْمَعْهُ
كَمْ وَجْهٍ لَهُ، وكَمْ طَبْعٍ بهِ تَشَبَّه؟
و أيَّامِي تُمدُّ إلى المَدَى لا تَنتَهي
فَمِنْها يَوْمٌ يَهِلُّ بالنُّورِ، وَضَّاحُ
هو النَّهارُ الَّذي بالجدِّ قدْ فاحَ
ومنهُ ليلٌ يلفُّ الكونُ بظلامِ

ومنهُ فصولٌ تتوالى، كلٌّ لهُ شانُ

صَيفٌ، شِتَاءٌ، رَبِيعٌ، خَريفٌ حَانُ

في هذا النصِّ الشِّعريِّ، يَقُومُ الشَّاعرُ بتَقسِيمِ مفهُومِ **الزَّمانِ** إلى أجزَائِهِ الرَّئيسيَّةِ الَّتي تُشكِّلهُ وتُعرِّفُه. هنا، فالزَّمانُ هو الكلُّ الَّذي يُقسَّمُ.

- **التَّقسيم 01**: اليَوم (النَّهارُ)

* الفئة: "يومٌ يَهِلُّ بالنُّورِ"، وهو مُرتبطٌ بالنُّور والإشْراقِ (النُّور، وضَّاحُ)، وخُصِّصَ للعَملِ والإنْجَازِ (فيهِ العَملُ يُنجَزُ، قال: الجدُّ قد فاحَ).

- **التَّقسيم 02:** (اللَّيل).قالَ: "ليلٌ يلفُّ الكونُ بظلامِ." هو مُرتبطٌ بالظَّلامِ والسُّكُونِ ("يلفُّ الكونُ بظلامِ")، مركزُ الأحلام، وقتٌ للحِكاياتِ، وقتٌ للويلاتِ، تقولُ العربُ: (اللَّيلُ أخفى للوَيْلِ).

- التَّقسيم **03**: "**الفُصول**".

* الفئة: "فصولٌ تتوالى، كلٌّ لهُ شانُ"، وهي تتكوَّنُ مِنَ الصَّيْفِ، الشِّتاء، الرَّبيع، والخريف (صيفٌ يُلهبُ، شتاءٌ، ربيعٌ، خريفٌ حانُ)، وهي تُمثِّل الدورات التي يتجلى فيها الزمان بوضوح (هي الدوراتُ التي فيها الزمانُ بَانُ).

إنَّ النصَّ يقسِّمُ الزَّمانَ (الكلَّ) إلى مُكوِّناتِه الأساسيَّة: النَّهار، اللَّيل، والفُصول، وهذه الأجزاءُ مجتمعةً تُشكِّلُ الزَّمانَ الكُليَّ، وتَظهرُ أنَّ هذه التَّقسيمات شَاملةً للمفهُومِ المَطرُوحِ.

3.2.2 حُجَّةُ التَّضمُّن (الإشتمال) ***(L'argument Par inclusion):*** وتُسمَّى كذلك: دَمْجُ الجُزْء في الكلِّ، ومُلخَّصُ هذه التِّقنية؛ أنَّ المُحاجِجَ يَنطلقُ مِنَ الحُجج الَّتي تقومُ بإدماجِ الجزءِ في الكلِّ، حيثُ إنَّ ما ينطَبقُ على الكُلِّ مِنْ أحكام، يمكنُ أنْ ينطَبِقَ على أجزائه المُكوِّنةِ له"[15]، والغايةُ مِنْ إيرادِ هذا النَّوعِ في العلميَّة الحِجاجيَّة؛ هو "توجيهُ المُتلقِّي واستدراجه إلى المقصُودِ مِنْ نتائجِ الحِجاج، فاعتقادُ المُتلقِّي بالحُكْمِ المُوجَّهِ إلى الكلِّ لا يمْنَعه مِنْ أنْ يعتقِدَ الجُزءَ منهُ"[16]، مثال: يقولُ **"عبدُ الرَّحمان الكواكبيّ"** في كتابه "طبائعُ الإستبداد": (المُسْتَبِدُّونَ يَخَافُونَ مِنَ العِلْمِ، حتَّى مِنْ تَعْلِيمِ النَّاسِ معنى لا إِلَهَ إلاَّ الله، ولماذَا كانتْ أفضلَ الذِّكْرِ، ولماذَا بُنِيَ عليها الإسلامُ)[17]، إنَّ هذا النَّوْعَ مِنَ الحُججِ دَمجَ الجُزْء (حتَّى تعليم لا إله إلاَّ الله) في الكلِّ (خوفُ المُستبدِّ مِنَ العلمِ)، فالظَّلمةُ المُستبدُّون عبر التَّاريخ يخافُونَ مِنْ تعليمِ النَّاسِ، فليسَ مِنْ صالحِ المستبدِّ أنْ يتنوَّرَ عقْلُ الإنسان، فجهْلُ الشُّعوبِ يخدمُ مصلحتهم، لذا وجَّه "الكواكبيُّ" خطابه ليحثُّ النَّاسَ على طلبِ العلمِ، وإقناعهم بضرورةِ التَّعلُّم لصدِّ تسلُّط الأعداء الظَّلمة.

3.2 الحُججُ المَبْنِيَةُ على الو اقعِ (*Les arguments busés sur la structure du réel*):

تُستَخدمُ الحُججُ القائمةُ على بِنيةِ الواقعِ الحُججُ شبه المَنطقيَّة "للرَّبط بين أحكامٍ مُسلَّمٍ بها، وأحكام يسعى الخطابُ إلى تأسيسها وتثبيتها وجَعْلِها مقبُولةً مُسلَّمًا بها"[18]، ما يُوضِّحُ عدم اعتمادها على المنطقِ، بل على التَّجربة، حيثُ تكتسبُ قوَّتها الإقناعيَّة بالتَّواصل الواقعيِّ الَّذي يربطُ بين: "أحكامٍ مُسلَّمٍ بها وأحكامٍ يسعى الخطابُ إلى تأسيسها وتثْبيتها وجَعْلِها مقبُولةً بها، حيثُ لا يُمكنُ التَّسليمُ بإحداها دونَ أنْ يُسلِّمَ بالأخرى، وتلك الحُجج ما هي إلاَّ طريقة لعرْضِ الآراءِ المُتعلِّقة بهذا الواقعِ"[19]، ومِنْ هنا جاءتِ تسميتُها بالحُجج الاتِّصاليَّة أو القائمة على الاتِّصال، وهي:

1.3.2 رو ابطُ التَّتـابُع (*Les Liaisons de succession*):

1.1.3.2 حُججُ الرَّبط السَّببيّ (الحُججُ السَّببيَّة): يَسمَحُ الرّابطُ السَّببيُّ "ببناءِ حُجَّةٍ مُستَندةٍ إلى تَعاضُدٍ في بِنيةِ الواقِعِ، ولهُ ثلاثُ وظائفَ"[20]، وللتَّفصيل هذه التِّقنية، نُوردُ النصَّ الآتي: "الاستبدادُ أصلُ كلِّ فسادٍ، وينابيعُ الشرِّ كلُّها منهُ تنبعثُ. فإنَّ المُستبدَّ لا يَسمعُ إلا لنفسِهِ، ولا يرى إلا رأيَ مَصلَحتِهِ. فيُعمي بصرَ الرعيَّةِ عنِ الحقيقةِ... يتبعُ ذلكَ الفقرُ، وهذا هوَ أصلُ الداءِ العُضالِ الذي أصابَ الأممَ المُستبدَةَ"[21].

يُعدُّ هذا المَقطَعُ مثالًا ممتازًا على كيفيَّةِ بِناءِ الكواكبيّ لحُجَجِه السَّببيَّةِ، حيثُ يَربِطُ بينَ ظاهرةِ الاستِبدادِ ونتائِجِها المُتعدِّدةِ، مُظهِرًا العَلاقاتِ بينَ السَّببِ (الاستِبدادُ) والمُسبِّبات (النَّتائج).

- السَّببُ الرَّئيسيُّ: الاستبدادُ أصلُ كلِّ فسادٍ.

* الخاصيَّة المُباشرة للاستِبدادِ: "فإنَّ المُستَبدَّ لا يَسمَعُ إلا لنَفسِهِ، ولا يَرى إلاَّ رأيَ مَصلَحتِهِ." هذِهِ هي الخاصيَّةُ الَّتي تُشكِّلُ الأساسَ لِجميعِ النَّتائجِ اللَّاحقةِ.

- النَّتائجُ المُباشِرةُ للاستِبدادِ: حَجْبُ الحقيقَةِ وكِتمانُ الصَّوتِ، بربطٍ سببيٍّ: "فيُعمي بصرَ الرعيَّةِ عنِ الحَقِيقَةِ، ويُكمِّم أفواهَهم عنِ النُّطقِ بها".

* النَّتيجة 1: الجهل والأميَّة، بربطٍ سببيٍّ: "فيتولَّدُ الجَهلُ، وتَنتَشرُ الأميَّةُ".

* النَّتيجة 2: الخوفُ مِنَ العِلمِ والإصلاحِ، بربطٍ سببيٍّ: "ويَخَافُ النَّاسُ مِنَ العِلمِ والعُلماءِ، ويَهرُبُونَ مِنَ الإصلَاحِ والمُصلِحِين". ففِي ظلِّ الاستِبدادِ، يُصبحُ العِلمُ تَهدِيدًا للسُّلطةِ، ممَّا يَدفَعُ المُستبدَّ إلى تَرهِيبِ النَّاسِ مِنَ العُلماءِ والمُصلِحينَ، فيَخَافُ النَّاسُ مِنَ السَّعيِ وراءَ المَعرفةِ أيِّ حركةٍ إصلاحيَّة.

يُقدِّمُ الكواكبيُّ سِلسلةً مُترابطةً مِنَ الأسبابِ والنَّتائجِ: الاستِبدادُ (السَّببُ الأوَّل) يُؤدِّي إلى حَجبِ الحَقيقَةِ وقَمعِ الصَّوتِ (المُسبِّباتُ المُباشرةُ)، الَّتي بدَورِها تُفضِي إلى الجهْلِ والخَوفِ مِنَ العِلمِ والإصلاحِ (المُسبِّباتُ الثَّانية)، وكلُّ ذلك يُؤدِّي في النِّهايةِ إلى الفَقرِ والذلِّ (المُسبِّباتُ النِّهائيَّة)، ويُعد هذا كله بمثابة الداء الذي يصيب الأمة. تُظهر هذه السلسلة الترابط المنطقي القوي الذي بناه الكواكبي بين هذه الظواهر.

2.1.3.2 الحُجَّةُ التَّوجيهيَّةُ (*L'argument de Direction*):

مبدأُ هذه الحُجَّة؛ "عدمُ اتِّباعِ سياسةِ المراحلِ التَّنازليَّة والتَّحذير مِنَ الوُقوعِ فيها"[22]، وإليك مقطعًا مُقتبسًا مِنْ كتابِ "مَعالم في الطَّريق" لسيِّد قطب، مع تحليل لتطبيق الحجة التوجيهية عليه:

"إنَّه لا بدَّ لهذهِ الأمةِ مِن قيادةٍ تسيرُ بها في طريقِ اللهِ، تُقيمُ فيها شريعتَهُ، وتحكِّمُ منهجَهُ في كلِّ شأنٍ من شؤونِ الحياةِ. هذهِ القيادةُ لا تُفرضُ على الناسِ بالحديدِ والنارِ، ولا تُقامُ بسلطانِ المالِ والجندِ"[23].

في هذا النصِّ، يَستَخدِمُ سيِّد قُطب حُجَّةً تَوجِيهيَّة قَويَّةً مُوجَّهةً إلى الأمَّةِ والمُؤمِنينَ، يَدعُوهم فيها إلى تَبنِّي مَسارٍ مُحدَّدٍ وهو إقامَةُ مَنهَجِ الله وشَريعَتِهِ، ويُقدِّم لهمُ الأسبَابَ والدَّوافعَ لتَحقِيقِ ذلك.

فالتَّوجيهُ نجدهُ في: "إنَّه لا بدَّ لهذهِ الأمةِ مِن قيادةٍ تسيرُ بها في طريقِ اللهِ، تُقيمُ فيها شريعتَهُ، وتحكِّمُ منهجَهُ في كلِّ شأنٍ من شؤونِ الحياةِ".

* الهدفُ: إقامةُ القِيادةِ الَّتي تَلتَزمُ بمَنهجِ الله وشَريعتِه في جميعِ جَوانِبِ الحَياةِ. هذا هُو المَسَارُ الَّذِي يَرى قُطب ضَرورةَ اتِّخاذِه.

- تبيانُ الأساسِ (لماذا هذا التَّوجيهُ ؟)

يَسعى سيّد قُطب في هذا المَقطَعِ إلى تَوجيهِ المُؤمنينَ نحو إقامَةِ مَنهَجِ الله وقِيادةِ الأمَّةِ بناءً عليه، تُبنى حُجَّته على تِبيان أنَّ هذه القِيادةَ لا تُفرضُ بالقُوَّةِ بل تَنبعُ مِنَ الإيمانِ العَميقِ واليَقينِ بأنَّ مَنهجَ الله هو الحُقُّ الوَحيدُ، ودُونَه تَكُونُ الحياةُ فَوضَى. ثمّ يُتبِعُ ذلك بدَعوَةٍ صَريحةٍ للعَملِ في هذا السَّبيلِ، مُحفِّزًا إيَّاهم بالثَّوابِ الأُخرويّ والمَكانةِ الرَّفيعةِ (ورثَةُ الأنبِياءِ) كنتيجةٍ إيجابيَّة لالتِزامِهم بهذا التَّوجيهِ.

3.1.3.2 حُجَّةُ التَّبذير *(L'argument de Gaspillage)*:

يقُومُ "مبدأ هذه الحُجَّة على الاِستمراريَّة والتَّتابُع"[24]، وعدم التَّوقُّف، ويعني التَّبذير: السَّعيُ إلى عدم ضياع الجُهد وتَشْتِيت العمل، فتقولُ مثلاً لأصدقائكَ الَّذين بدَأُوا معكَ مشروعَ جمعيَّةٍ خيريَّة: بما أنَّنا شَرَعنا في هذا العملِ الخيريّ ولاقيْنَا صُعوباتٍ وعراقِيلَ للحصُول على الاِعتماد؛ فلو أنَّنا تركْنا هذا المشروعَ ولَمْ نُكْمله لأضَعْنَا وقْتَنا وجُهدنا، فالواجبُ علينا المُواصلة ابتغاءَ الأجر ونَفْعِ المُحتاجين.

وليس أفضل مِنْ نُصوصِ الكواكبيّ للتَّطبيق، وخاصَّة في هذه الجُزئيَّة، قال:

"إنَّ الاستبدادَ يُورثُ الجبنَ، والجبنُ يُورثُ الخضوعَ، والخضوعُ يُورثُ الاستكانةَ، والاستكانةُ تُورثُ الجمودَ واليأسَ. وهكذَا يَتبدَّدُ عُمْرُ الأمةِ وطاقَاتُها في دوراتٍ لا تَنتهي مِنَ السّلبيَّةِ. فكلَّما ازدادَ الجهلُ، ازدَادَ الخوفُ، وكلَّما ازدَادَ الخوفُ، ازدادَ الذلُ، وكلَّما ازدادَ الذلُّ، ازدادَ السُّكوتُ عنِ الحقّ. وهذا التَّسلسلُ اللَّعينُ يُبددُ آمالَ الأمَّةِ وثَرواتِها، ويُفقدُها القُدرةَ على النُّهوضِ والتَّطوُّرِ، حتَّى تُصبحَ جُثَّةً هامِدةً.[25]

يُقدِّم هذا المَقطعُ مثالًا نموذجيًا لحجَّة التَّبذيرِ، حيثُ يَصفُ الكَواكبيُّ سِلسلةً مُترابطةً منَ الآثار السّلبيَّة الَّتي تَنشأُ عنِ الاِستِبدادِ، وتُبدِّدُ طاقَاتِ الأمَّةِ وإمكانيَّاتها بمُرورِ الوَقتِ، فكُلُّ خطوةٍ في هذه السِّلسلةِ هي نتيجةٌ للسَّابقةِ وسببٌ للَّاحقَةِ، ممَّا يُشكِّلُ دورةً مُستمِرَّةً مِنَ التَّدهوُرِ.

- **نُقطةُ البدايةِ**: الإستبدادُ.

* السَّببُ الأصليُّ: "إنَّ الاِستبدادَ يُورثُ الجُبنَ".

- سلسلةُ التَّبذيرِ والتَّتابع (النَّتائجُ المُتواليةُ):

* الخُطوةُ 1: الجُبنُ: الإستبدادُ (السَّببُ) يُورثُ الجُبنَ (النَّتيجةُ الأُولى).

* الخَوفُ مِنَ السُّلطةِ القَمعيَّة يَجعلُ الأفراد جُبناء، ويَمنَعُهم المُقاومَة أو التَّعبيرَ عن الرَّأي.

* الخُطوة 2: الخُضوع: والجُبن (السَّبب) يُورثُ الخُضُوعَ (النَّتيجة الثَّانية).

* الخُطوة 3: الاِستكانةُ: والخُضوع (السَّبب) يُورثُ الاستكانةَ (النَّتيجة الثَّالثة).

* الخطوة 4: الجُمودُ واليأس: والاِستكانَةُ (السَّببُ) تُورثُ الجُمودَ واليأسَ (النَّتيجة الرَّابعة).

يُؤكِّد الكواكبيّ على استمراريَّة هذه الدَّورة بقوله: "وَهَكَذَا يَتبدَّدُ عمرُ الأمَّةِ وطاقاتُها في دوراتٍ لا تنتهي مِنَ السلبيةِ." هذا يُوضِّح أنَّ الأمَّة تَستمرُّ في إهدارِ وقتها وقُدراتها في هذه الدَّبْعَاءِ المُتتالية.

- **تَسلسُلُ التَّبذير المعرفيّ والأخلاقيّ:**

* الخطوة 1: ازدِيادُ الجَهلِ: "فكلَّما ازدادَ الجهلُ، ازدادَ الخوفُ".

* الخطوة 2: ازدياد الخوفُ: "...ازدادَ الخوفُ، وكلَّما ازدادَ الخَوفُ، ازدادَ الذُلُّ.

* الخطوة 3: ازدِيادُ الذلِّ: "...ازدادَ الذلُّ، وكلَّما ازدادَ الذلُّ، ازدادَ السُّكوتُ عنِ الحقّ".

* الخطوة 4: السُّكوتُ عن الحقّ: السُّكوت عن الحقّ يزيدُ مِنْ ترسِيخِ الاِستِبدادِ ودوراته السِّلبيَّة.

- **وبذلك تكُونُ النَّتيجَةُ النِّهائيَّة للتَّبذير:** الإهدارُ الشَّامل والتَّدهوُر النِّهائي، وهذَا التَّسلسُلُ اللَّعينُ يُبدِّدُ آمالَ الأمَّةِ وثرواتِها، ويُفقدُها القُدرةَ على النُّهوضِ والتَّطوُّرِ، حتَّى تُصبحَ جُثةً هَامدةً لا حياةَ فيها.

وتُختَتمُ الحجَّةُ بتأكِيدٍ على أنَّ هذه السِّلسلةَ المُتواصلةَ مِنَ الآثَارِ السّلبيةِ تُهدِرُ كلَّ مُقوِّماتِ الأمَّةِ: آمالَها، وثرَواتِها، وقُدرتِها على التَّطوُّر، ممَّا يُؤدِّي بها إلى المَوتِ الرُّوحيّ والاجتماعيّ.

يُوضِّحُ الكواكبيُّ كيف يُؤدِّي الاستِبدادُ إلى سِلسلةٍ مُتَّصلةٍ منَ النَّتائجِ السّلبيَّة (الجُبنُ، الخضُوع، الاستِكانَة، الجُمودُ، اليأس)، وتُعزِّزها دَورةٌ أخرى مِنَ الجَهلِ، الخوفِ، الذلّ، والسُّكوت عن الحقّ، وهذه السَّلاسلُ المُتتابعةُ تُشكِّلُ عمليَّةَ "تبذيرٍ" وإهدارٍ مُستمرٍّ لطاقاتِ الأمَّة وقُدراتها على النُّهوضِ، ممَّا يُؤدِّي إلى تَدَهوُرٍ شاملٍ.

2.3.2 رو ابطُ (حُجج) الاتِّصال التَّواجديّ (*Liaison de Coexistence*):

1.2.3.2 حُجَّة الشَّخص وأعماله:

يُمكنُ بناءُ الحُجَّة انطلاقًا مِنْ علاقة الذَّاتِ بصِفاتها، أو الشَّخصِ بأفعاله، فالإنسانُ موضوعُ تقويمٍ مِنْ قِبَلِ الآخرينَ في ضَوءِ تلكَ الصِّفاتِ والأحكامِ"[26]، وهي بذلكَ تُقدِّمُ وزنًا للعَلاقةِ بينَ الشَّخصِ وأعمالِه، فالمَعرفةُ الجيِّدَةُ للفَاعِلِ تكونُ مُعِينَةً للمُحاجِجِ على التَّكهُّنِ بما سيقومُ به مِنْ أفعال مِنْ جهة، وعلى تكوينِ فكرةٍ شاملةٍ عن مقاصِده المُحرِّكة له عادة نحو أفعاله ومواقفه مِنْ جهةٍ ثانية، فتقولُ مثلاً:

حوَّل الرَّئيس الماليزيُّ "مَهَاتِير محمَّد" بلادهُ مِنْ دولةٍ فقيرةٍ إلى دولةٍ مُتقدِّمةٍ.

الشَّخصيَّة — أعماله

يتَّضِحُ مِنْ هذا المثال؛ ما للرَّئيس الماليزيّ مِنْ قوَّة الشَّخصية في مُواجهة أقطاب العالم في الاقتصاد، وصرامةٍ في العملِ، فكلُّ هذه الصِّفاتِ والأعمال كشفتْ عن جوهره الأصيل في حبِّ بلاده، حيثُ كانَ سببًا في تطويرِها وجعلها مِنَ الدُّول المُتقدِّمة.

وللتَّفصيلِ، نُوردُ خطابًا لمُحمَّد إقبال لتحلِيله في قصيدةٍ شهيرة "شَكوَى" يقول فيها[27]:

أنَا مَا تَعدَّيتُ القناعَةَ والرِّضَا
لكنَّمَا هي قِصَّةُ الأشْجَانِ
أشْكُو وفي فَمِي التُّرابُ و إنَّما
أشْكُو مُصابَ الدِّينِ للديَّانِ
عَبدُوا تَماثِيلَ الصُّخُورِوقَدَّسُوا
مِنْ دُونكَ الأحجَارَوالأشْجارا
عَبَدُوا الكَواكِبَ والنُّجُومَ جَهالَةً
لَمْ يَبْلُغُوا مِنْ هَدْيِهَا أنْوارَا

عند تحليل خِطابِ محمَّد إقبال مِنْ مَنظُورِ "حُجَّةِ الشَّخصِ وأعمَالِه"، نجدُ أنَّ قُوَّة إقناعِ إقبال المُتجلِّية في هذا النَّصِّ لا تَنبعُ فقط مِنْ جماليَّاتِه الشِّعريَّةِ أو طَرحِه للتَّسَاؤُلاتِ الوُجُوديَّة، بل تتأثَّر بشَكلٍ

كبيرٍ بـ"الإيتُوس" (***Ethos***) كمُفكِّرٍ جامعٍ، وشَاعرٍ مُلهِم وداعيةٍ إلى النَّهضةِ. هذا الإيتُوس يُعَزِّزُ تقبُّلَ الجُمهُورِ لخِطابِه الحِجاجيّ.

فبالنِّسبةِ لقرَّاء إقبال، خاصَّة في العالَمِ الإسلاميّ، فإنَّ شخصيَّته ذاتها تُمثِّلُ حُجَّةً قويَّةً. فإقبالُ ليسَ مجرَّدَ شَاعرٍ يَكتُبُ الخواطِرَ، بل هو فيلسُوفٌ وعلَّامةٌ مُجدِّدٌ، سعى لإيقَاظِ الأمَّةِ مِنْ سُباتِها. هو مُفكِّرٌ يَمتَلكُ رُؤيةً عمِيقةً لتاريخِ الأمَّةِ ومُستَقبَلِها، وهو شَخصيَّةٌ لها وزنُها الأكادِيميُّ والفِكريُّ. فعندما يَطرحُ إقبال هذه التَّساؤُلاتِ المُؤرِّقةَ عن حالِ الأمَّة (أشْكُو مُصاب الدِّينِ للديَّانِ)، فإنَّها لا تُقرأ كمُجرَّدِ شَكوى عابرةً، بل كـ "صرخةٍ" صادرة عن ضميرِ الأمَّةِ الحيِّ الَّذي يُمثِّله شخصُ إقبال، هذا "الشَّخصُ" يُضفي على تساؤُلاتِه وقضَايَاه بُعداً مِنَ الجِديَّة والعُمقِ والمَسؤُوليَّة التَّاريخيَّةِ، هو ليسَ مُجرَّدَ مُراقبٍ، بل مُشارك فعَّالٍ في البحثِ عن الحلِّ، وهو ما يَجعلُه أهلًا لطرحِ هذه الأسئِلةِ الكُبرى.

إنَّ قُوَّة نصِّ إقبال وقَبوله لدى الجُمهُور، لا يَنبعُ فقط مِنْ بلاغةِ الشِّعرِ أو قُوَّةِ الأسئِلةِ، بل يتأثَّرُ بشَكلٍ كبيرٍ بـ: "الرَّابطِ العُضويّ" بينَ أفكارِه وشَخصِه وأعمَاله المُتجذِّرةِ في مَشرُوعِ النَّهضةِ الإسلاميَّة، فالأسئِلة المُؤرِّقةُ الَّتي يَطرَحُها تَكتَسِبُ مِصداقيَّة أكبرَ لأنَّها صادرةٌ عن "شخصيَّةِ" إقبال، المُفكِّرُ الَّذي وَهبَ حياتَه للنُّهوضِ بالأمَّةِ، وأعمالُه الفِكريَّة والسِّياسيَّة الَّتي قدَّمَها كحَلٍّ لتلك الشَّكوى. هذا التَّفاعُل بينَ "الشَّخصِ" و"الأعمالِ" يَجعلُ خِطابَهُ حِجاجِياً بامتِيازٍ، لأنَّه يَدعُو إلى التَّفكيرِ والفِعلِ مِنْ خِلالِ ثِقلِ "المُحاجِجِ" نَفسِه.

2.2.3.2 حُجَّة السُّلطة *(L'argument d'autorité)*: وهي حُجج "يُستخدم فيها هيبَةُ شخصٍ أو مجموعةٍ أشخاصٍ لدفع المُخاطَبِ إلى تَبنِّي دعوةٍ ما، أو استِدلالاً على صحَّة أطروحةٍ ما،[28] وهذه السُّلطات قد تكونُ شخصيَّةً كأقوال العلماء، الفلاسفة والأنبياء، أو غيرَ شخصيَّة مثل الفيزياء، الدِّين أو الكُتبِ المقدَّسة"، تقولُ مثلاً في نقاشٍ حولَ: جوازِ إخراجِ زكاةِ الفطر نقدًا ؟، فيأتي المُحاجِجُ – عند احتدامِ النِّقاش- ويقول: وهذا ما قال به الإمامُ "أبو حنيفةَ" صاحب المذهبِ، فهو بتوظيفِ اسم "أبي حنيفة" قد استدلَّ على جَوازِ إخراجِ زكاةِ الفِطْرِ نَقْدًا، وَأَكْسَبَ استدلالَهُ سُلطةً دينيَّةً اجتهاديَّة إقناعيَّة، حيثُ لا يملكُ المُستَمعُ (والقضيَّة فيها أقوال بين أهلِ العِلمِ أمَّا العامَّة فوجَبَ عليهم التَّقليدُ والاتِّباعُ) أنْ يَردَّ كلامَ أبي حنيفةَ للمَكانَةِ الفِقهيَّة لعَالِمٍ لهُ الصَّدارةِ بينَ أهلِ العِلمِ، فأبو حَنيفةَ دُونَ أيِّ شَكٍّ يَحْظَى بِسُلطةٍ مُعترفٍ بها عند جُمهُورِ المُستَمِعينَ.

3.2.3.2 حُجَّةُ الاِتِّصال الرَّمزيّ (*Argument de Symbole*): تهدفُ هذه الحُجَّة إلى جعلِ "الرَّمز" أساسًا للأطروحة الحِجاجيَّة، حيثُ يتمُّ الانتقالُ مِنَ: "الرَّمز إلى ما يرمُز إليه، وتعتمدُ على ما تُثيرُه هذه الرُّموز مِنَ عواطِفَ وأحاسيس تحكُمها العلاقةُ بين الرَّمزِ والمروز إليه"[29]، كدلالة مثلاً: "العَلَم في نسبته إلى وطنٍ مُعيَّنٍ، أو دلالة الهلالِ بالنِّسبة لحضارة المسلمين، والميزان بالنِّسبة للعدالة"، فتقول مثلاً: أيُّها الشَّعبُ الأبيُّ، يا أحفادَ الشَّيخ ابن باديس/ الأمير عبد القادر، قاوِمُوا الظُّلمَ، حافظوا على وِحدَتكم. يمُثِّلُ ابن باديس رمزَ دينيًّا، المُعلِّمُ، صاحبُ الحرف الَّذي جابه به فرنسا، ويُمثِّلُ الأمير "عبد القادر" رمز المقاومة والكِّفاح، رمزَ الرُّوح المُحترقةِ للمقاومة، فإنَّك بتوظيفِ هذين الرَّمزين مثلا في خِطابك؛ تُحرِّكُ المُتلقِّي وتُثيرُ عواطِفهُ، لِمَا لسُلطةٍ هذين البطلَيْنِ في نفوس الشَّعب.

4.2 الحُجج المُؤسِّسة لبِنْية الو اقع *(Arguments Fondant la Structure du Réel):*

الكلمةُ المفتاحِ لِفَهْمِ لهذه التِّقنية هي "الواقعُ"، حيثُ تدلُّ على أنَّ هذه الحُجج تتَّخذُ مِنَ الأحداثِ الَّتي يعيشُها الإنسانُ حُججًا وشواهد في عمليَّة الحِجاج، وهذه الحُججُ "تربِطُها صلةٌ وثيقة بالواقعِ، ولكنَّها لا تتأسَّسُ عليه، ولا تَنْبَني على بِنْيَته، وإنَّما هي الَّتي تُؤسِّسُ هذا الواقعَ وتبنِيه"،[30] ومِنْ أنواعِ هذه الحُجج:

1.4.2 المَثلُ *(L'exemple)*: يُوظَّفُ "لترسِيخِ وتثْبِيتِ قاعدةٍ خاصَّةٍ في ذِهنِ المُتلقِّي، ويُؤتى به للتَّأكيدِ وتقويةِ الطَّرحِ بين المُتلقِّي والمُحاجِج،[31] تقول في التَّحذيرِ مِنَ الإصابة بالفيروسات: "فيروس كُورونا" نوعٌ مِن أنواعِ الفيرُوساتِ الفتَّاكة الَّتي قضَتْ على الشُّعوب، فـ: "كورونا" مثالٌ مأخُوذٌ مِنَ الواقعِ، ليُعمَّمَ على الحُكمِ ويُؤسِّسَ لقاعدةٍ عامَّة: "كورونا فيروسٌ قاتلٌ".

ولتحليلِ هذه الحُجَّة وبيان فاعليَّتها في الخطاب، اخترتُ نصًّا للكواكبيّ للتَّطبيق:

"كم مِنْ أمَّةٍ كانتْ في قُمولٍ وتَخلُّفٍ، ثمَّ نفضتْ عنها غُبارَ الذلِّ، وهبَّتْ للنُّهوضِ بفَضْلِ رجالٍ أدركوا أنَّ حُريَّتَها لا تُنالُ إلا بالوحدةِ وتركِ التَّفرقةِ. انظُروا إلى اليَابانِ كيفَ كانتْ في عُزلتِها وتخلُّفِها، ثمَّ ما إنْ أدركَتْ سبيلَ الوحدةِ الوطنيَّةِ، وتخلَّصتْ مِنَ الاستبدادِ الدَّاخليِّ، حتَّى قَفزَتْ قفزةً عظِيمةً في مدارجِ الرقيِّ والعمرانِ. فهلْ مِن مُدَّكِرٍ؟".[32]

يَستَخدمُ الكواكبيُّ حُجَّةَ المَثلِ (أو التَّشابُه) لإقنَاعِ القَارئ بإمكانيَّةِ التَّغييرِ والنُّهوضِ، مِنْ خلالْ تَقديمِ مثالٍ تاريخيٍّ ناجِحٍ:

* القضيَّةُ المَطرُوحةُ: إمكانيَّةُ النُّهوضِ مِنَ التَّخلُّفِ والذُلِّ عنْ طريقِ الوحدةِ والتَّخلُّصِ مِنَ الاستِبدادِ.

*المَثلُ (التَّشابُه): اليابان.

*وجْهُ الشَّبهِ (الحالُ الأوَّل): كانتِ اليَابانُ في "عُزلتِها وتخلُّفِها" (حالةٌ شبيهةٌ بحالِ الأمَمِ المُتخلِّفةِ).

* نُقطةُ التَّحوُّل (السَّبب): "ما إنْ أدركَتْ سَبيلَ الوِحدَةِ الوَطنِيَّةِ، وتخلَّصتْ منَ الاستبدادِ الدَّاخليِّ".

* النَّتيجةُ (الحالُ الثَّاني): "حتَّى قَفزَتْ قَفزةً عظِيمةً في مَدَارجِ الرقيِّ والعُمرانِ".

* الاستِنتاجُ الضِّمنيُّ: إذَا استَطاعَتْ اليابانُ تحقيقَ ذلك مِنْ خلالِ الوحدةِ والتخلُّصِ مِنَ الاستبدَادِ، فإنَّ الأمَمَ الأخرى (المعنيَّة بالخِطابِ) تَستَطيعُ فِعلَ المثلِ باتِّباعِ نفسِ المَسارِ. هذا المَثلُ يُشكِّلُ دليلًا عَمَليًا على صِحَّةِ فِكرتِهِ.

2.4.2 حُجَّة الشَّاهد *(L'illustraction):* يُؤتى به لتَوضيحِ القَاعدةِ وتَكثيفِ حُضورِ الأفكَارِ في الذِّهنِ، فالشَّواهدُ تُقوِّي الحُجَّة، فترفعُ بذلك دَرجَةَ التَّصديقِ لدى المُتلقِّي، وبخاصَّة إذَا كَانتْ ذاتَ قِيمةٍ سُلطويَّة على المُخاطب، كالمقُولاتِ الدِّينيَّة..."[33]، تقولُ لصَاحِبكَ مثلاً: لا تُناقشْ "س" فهو مُستبدٌّ في رأيه مثل "الحَجَّاجِ"، فاستِحضارُ الشَّاهدِ التَّاريخيّ هنا اسمُ: "الحجَّاج"، وخلفيَّة الظُّلم والاستِبدادِ المُلتصِقة بهذه الشَّخصيَّة؛ تَجْعَلُ المُتلقِّي يُذعنُ ويَتخلَّى عن مُناقشةِ "س" وتَرْكِه.

وهذا نصٌّ آخرُ مِن نُصوصِ "طبائع الاستبداد":

"إنَّ المُستبدَّ لا يَأتَمِنُ أحدًا على سِرِّهِ، ولا يَصدُقُ في عَهدٍ. ولذلكَ نرى الأمَمَ الَّتي خَضعَتْ لبَطْشِ الاستبدادِ، لا تَجِدُ بينَ أفرادِها ثِقةً مُتبادلةً، ولا تَعاوُنًا حقيقيًّا. ففي مُجتمعاتِنا الَّتي طالَ عليها لَيْلُ الاستبدادِ، يَشهدُ الواقعُ أنَّ

الفردَ باتَ لا يثقُ بجارِهِ، والأخُ لا يطمئنُ لأخيهِ، وتُشاعُ الريبةُ في كلِّ زاويةٍ، حتى فسدتْ الروابطُ الاجتماعيةُ وتفككتْ أواصرُها. أليسَ هذا شاهدًا بيّنًا على مفعولِ الاستبدادِ القاتلِ في نفوسِ البشرِ؟.[34]

هنا، يَعتَمدُ الكَواكبيُّ على حُجَّةِ الشَّاهدِ، حيثُ يُقدِّمُ دليلًا مِنَ الوَاقعِ المَعِيشِ (ما يُشاهِده النَّاس) لتَعزيزِ حُجَّتِه حَولِ آثارِ الاِستِبدَادِ.

* القَضيَّةُ المَطرُوحَةُ: الاِستِبدادُ يُدمِّرُ الثِّقةَ والتَّعاونَ بين أفرادِ الأمَّةِ.

* الشَّاهدُ (الدَّليلُ الواقعيُّ): الحالةُ الاِجتماعيَّةُ للأمَمِ الَّتي خَضَعتْ للاستِبدادِ.

* وَصْفُ الشَّاهدِ: "في مُجتَمعاتِنا الَّتي طَالَ عليها لَيْلُ الاِستبدادِ، يَشهدُ الواقعُ أنَّ الفردَ بَاتَ لا يَثقُ بجارِهِ، والأخُ لا يَطمئِنُ لأخيهِ، وتُشاعُ الرِّيبةُ في كلِّ زاويةٍ، حتَّى فَسَدَتِ الرَّوابِطُ الاِجتماعيَّةُ وتَفَكَّكَتْ أوَاصِرُها".

* الرَّبطُ والاِستِنتاجُ: هذا الواقعُ المُشاهد (انعدامُ الثِّقةِ، تَفكُّكُ الرَّوابطِ الاِجتِماعيَّة) هو "شاهدٌ بيِّنٌ" أو دليلٌ حيٌّ على أنَّ الاِستِبدادَ هو السَّببُ المُباشرُ لهذه الظَّواهرِ السِّلبيَّة. فالشَّاهدُ يُعزِّزُ الحُجَّةَ لأنَّه يَربطُ الفِكرةِ المُجرَّدةَ بتَجربةٍ مَلمُوسَةٍ.

3.4.2 حُجَّة القُدوة (النَّمُوذج) *(Modèle)*: يُقصدُ بهذه التِّقنية أنْ يكون إنسانٌ ما "قُدوة" يتبعه الآخرونَ ويَقْتَفُونَ سُلُوكَهُ: كالأنبياءِ والعُلماءِ"، وهذا نصٌّ من "طبائع الاستبداد" يُوضِّح تأثير "حُجَّة القُدوة" في المتلقِّي، قال الكواكبيُّ:[35]

"يا مَنْ تروم حريةً لعزيزٍ أو لوطنٍ، لا تظُنَّها تُوهبُ! إنها تُنتزعُ انتزاعًا. وتُطلبُ منْ أهلِها بسواعدَ فتيةٍ، وعقولٍ نيّرةٍ، وقلوبٍ لا تخشى الموتَ. فلقدْ رأينا **عمرَ بنَ الخطابِ**، رضيَ اللهُ عنه، كيفَ كانَ يعاملُ ولاةَ الأمصارِ، وكيفَ كانَ يُحاسبُهم أمامَ الرعيةِ بلا وجلٍ، لا يفرقُ بينَ كبيرٍ وصغيرٍ. كانَ قدوةً في تطبيقِ العدلِ ومحاربةِ الظلمِ".

يَستَخدمُ الكواكبيُّ حُجَّةَ القُدوةِ، حيث يُقدِّمُ شخصيَّةً تاريخيَّةً مَرمُوقةً (عُمرُ بنُ الخطَّاب رضيَ الله عنه) كمثالٍ يُحتذَى به في السَّعي نحوَ العَدلِ والحريَّة:

* القضِيَّةُ المَطرُوحةُ: كيفيَّةُ تَحقِيقِ العَدلِ والتَّخلُّصِ مِنَ الاِستِبدادِ (عن طريقِ الشُّورى والإنصَافِ).

* القُدوةُ: عُمر بنُ الخطَّابِ رضيَ الله عنه.

* أفعَال/صفاتِ القُدوةِ: مُعامَلتُه لوُلاةِ الأمصارِ، مُحاسَبتُه لَهُم أمامَ الرَّعيَّةِ، تَطبيقُه للعَدلِ ومُحاربةِ الظُّلم، و قِيامُ دَولتِه على أسَاسِ "الشُّورى والإنْصَاف".

- الاِستِنتاجُ التَّوجيهيُّ: سِيرَةُ عُمر بنِ الخطَّابِ تُعدُّ "نورًا يُضيءُ لنا دَرْبَ الخَلاصِ"، أي" إنَّ اتِّباعَ نَهجِه وأفعَالِه يُعدُّ طريقًا لتَحقِيقِ العَدلِ والحُريَّةِ، مِمَّا يُلهِمُ المُتلقِّي للسَّيرِ على خُطاهُ.

بهذه الأمثلَةِ، نرى كيفَ استَخدَمَ الكَواكبيُّ ببراعَةٍ حُجَجَ المَثلِ، الشَّاهد والقدوةِ لتَعزيزِ رسَالتِه وتَحريكِ وَعيِ القَارئ.

تُعدُّ تقنياتُ بيرلمان الحِجاجيَّة (أو ما يُعرفُ بـ "الخطابةِ الجديدةِ" إطارًا نظريًا ومَسارًا عَمَليًا بالغَ الأهميَّةِ في مجالِ تَحليلِ الخطابِ، ولقد أحدَثَتْ هذه التّقنياتُ نَقلةً نوعيةً في فَهمِ كيفيَّة بناءِ الحُججِ وإقناعِ الجُمهُورِ، مُتجاوزةً بذلك التَّصوُّراتِ التَّقليديَّة الَّتي كانتْ تَحصرُ الحِجَاجَ في المنطقِ الصُّوريِّ وَحدَهُ، حيثُ تتجلَّى أهميَّةُ هذه التِّقنياتِ في تحلِيلِ الخِطابِ في عِدَّة جوانب، وتَكمُنُ فاعليَّة تِقنيات بيرلمان في قُدرتها على تَوفيرِ إطارٍ تَحليليٍّ شاملٍ ومُتعدِّدِ الأبعَادِ يُمكِنُ استِخدامُه في مجالاتٍ مُتنوّعةٍ، فقدْ قدَّمتْ تقنياتُ بيرلمان الحِجاجيَّة منظورًا ثوريًا

لتَحليلِ الخطاب، حيث نقلت التَّركيزَ مِنْ مُجرَّدِ صحَّةِ الحُجَّةِ إلى فعاليَّتها وقُدرتِها على إقناعِ جُمهُورٍ مُعيَّنٍ، إنَّ هذا المنظُورَ الثَّـريَّ جَعلَها أداةً لا غِنًى عنها في فَهمِ دِينامِيكيَّاتِ التَّواصُلِ البَشريِّ والإقناعِ في سِياقَاتِه المتنوعة، إنَّها تِقنياتٌ فاعلةٌ، ولا مُبالغةَ إنْ قِيلَ: إنَّ كتابَ بيرلمان الحجاجيَّ قد أعادِ الاِعتبارَ للبلاغةِ.

خاتمة:

إنَّ جَولةً بَحثِيَّةً في فَلسَفَةِ بيرلمَان والبَحْث في كَيفيَّةِ تَطبيقِهَا على الخطابِ، قد أثمرَتْ كَوْنَها تُسَاعِدُ على تَحليلهِ وكشْفِ أسراره، أو ما يَسعَى المُخَاطِبُ إلى إيصَالِهِ قَصْدَ الإذعَانِ ونجَاحِ العمليَّةِ الخطابيَّةِ الحِجَاجيَّةِ، وقَدْ أسْفَرَ تَتبُّعُ تقنيَاتِ بيرلمان الحِجاجيَّةِ على عَدِيدِ النَّتائجِ، وهي:

- حَسَبَ بيرلمان: إنَّ فَهْمَ "أقدَارِ المستَمعِينَ" هو مِفتاحُ نجاحِ الخطابِ الحجَاجِيِّ، لأنَّها تُحدِّدُ أقدارَ المعَاني المُرسلةِ.
- لا يَهدفُ بيرلمان بِتقنِياتهِ إلى "الاقتِناعِ" العقليِّ المُجَرَّدِ، بل "الإقنَاعِ" الَّذي يُؤَدِّي إلى الفِعلِ أو تَغيِيرِ المَوقفِ.
- يَختلِفُ الحجَاجُ عند بيرلمان عنِ البُرهانِ الصُّورِيِّ (المَنطقِيِّ) في أنَّه يَعتمِدُ على اللُّغةِ الطَّبيعيَّةِ، الَّتي تَسمحُ بالمُرونةِ والغُموضِ والتَّأويلِ، على عكْسِ اللُّغةِ الرَّمزيَّةِ الصَّارمةِ لِلمَنطقِ.
- الغَايَةُ الأساسِيَّةُ للحِجَاجِ عند بيرلمان هي إقنَاعُ العقُول للإذعَانِ لما يُطْرحُ عليها، أو زيادَةُ درَجةِ الإذعانِ لديهِمْ بِهَدَفِ دَفْعِهِمْ إلى فِعلٍ مُعَيَّنٍ.
- طرائقُ الوصلِ تقنياتٌ فاعلةٌ في تحليلِ الخطابِ الحِجاجيِّ.
- يُعيدُ بيرلمان تَثمينَ الجانِبِ الإقنَاعيِّ في البلاغةِ وتَحريرها منَ النَّظرةِ الاتِّهامِيَّةِ الَّتي تَربطُهَا بالتَّلاعُبِ اللَّفظيِّ ويَهتمُّ بقُوَّةِ البنَاءِ الحِجَاجيِّ.
- يُساعدُ فَهْمُ آلِيَّاتِ التَّأثيرِ في الخطَابِ عَلَى الكشْفِ عَن كَيفيَّةِ بنَاءِ الحُجَجِ وتَنظِيمِهَا لِتَحقيقِ أَقصَى قَدرٍ مِنَ التَّأثِيرِ على المُتلقِّي.
- تَعمَلُ تقنِيَاتُ بيرلمان الحِجاجيَّةُ على تَحليل الخطاباتِ المُختلفةِ (السِّياسيَّةِ، الدِّينيَّةِ، القانُونيَّةِ، الأدبيَّةِ...).
- أعَادَتْ نظريَّةُ بيرلمان الحِجاجيَّةُ البلاغة إلى مكانتِهَا كَعِلمٍ للدِّرَاسةِ والتَّحليلِ، بَعدَ أنْ تَرَاجَعَتْ لِصَالِحِ المَنْطِقِ الصُّورِيِّ.
- قَدَّمَ بيرلمَان إطارًا شامِلًا لِفَهْمِ كَيفِيَّةِ عَمَلِ الإقْنَاعِ فِي الخطَابِ مِنْ خِلَالِ التَّركِيزِ على التَّفَاعُلِ بَيْنَ المُتَكَلِّمِ والسَّامِعِ والمَقَامِ، واستِخدَامِ مَجْمُوعَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ التّقنِياتِ الحِجَاجِيَّةِ الَّتي تتجَاوَزُ حُدُودَ المَنطقِ الصُّورِيِّ.

الإحالات والهـوامش:

[1] عبد الله صولة: 2001، الحِجاجُ أُطُره ومنطلقاته، الإدارة العامَّة للبحث العلميّ، ط 1، تونس، ص45.

[2] سامية الدريدي: 2011، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، ط 1، الأردن، ص 78.

[3] صولة عبد الله: الحِجاجُ أُطُره ومنطلقاته، ص 47.

[4] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 49.

[5] صولة عبد الله: الحِجاجُ أُطُره ومنطلقاته، ص 50.

[6] بروتون فيليب، 2011، جيل جوتيه: تاريخ تطور نظريات الحجاج، تر: صالح الغامدي، ط 1، السعودية، ص 80.

[7] محمَّد الأمين الطَّلبة: 2018، الحِجاجُ في البلاغةِ المعاصرةِ، دار الكتب الجديدة، ط 1 لبنان، ص 44.

[8] صولة عبد الله: الحِجاجُ أُطُره ومنطلقاته، ص 50.

[9] بروتون فيليب، جيل جوتيه: تاريخ تطوّر نظريات الحجاج، ص 74.

[10] صولة عبد الله: الحِجاجُ أُطُره ومنطلقاته، ص 55.

[11] المرجع السَّابق: ص 46.

[12] الكواكبي عبد الرحمان: 2010، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، هنداوي، ط 10، مصر، ص 146.

[13] صولة عبد الله: الحِجاجُ أُطُره ومنطلقاته، ص 48.

[14] بدر شاكر السياب: 1995، ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، ط 2، بيروت، لبنان، ص 127.

[15] أحمد محمود نحلة: 2002، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط 2، مصر، ص 145.

[16] حمدي منصور جودي: 2018، الحجاج قراءة في البلاغة الجديدة، دار ابن كثير، ط1، دمشق، سوريا، ص 74.

[17] الكواكبي عبد الرحمان، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص 150.

[18] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 88.

[19] صولة عبد الله: الحِجاجُ أُطُره ومنطلقاته، ص 58.

[20] محمَّد الأمين الطَّلبة: الحِجاجُ في البلاغةِ المعاصرةِ، ص 122.

[21] الكواكبي عبد الرحمان، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص 89.

[22] طروس محمَّد: 2005، النَّظريَّةُ الحِجاجيَّة في الدِّراسات البلاغيَّة واللِّسانيَّة، دار الثَّقافة، ط 1، المغرب، ص 66.

[23] سيّد قطب: 2008، مَعالمُ الطريق، دار الشروق، ط 3، سوريا، ص 85.

[24] صولة عبد الله: الحِجاجُ أُطُره ومنطلقاته، ص 77.

[25] الكواكبي عبد الرحمان، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص 144.

[26] محمَّد الأمين الطَّلبة: الحِجاجُ في البلاغةِ المعاصرةِ، ص 77.

[27] محمّدإقبال: 2010، ديوان محمد إقبال، تح: سيّد الغوري، دار ابن كثير، ط 5، دمشق سوريا، ص 155.

[28] عبد العالي قادا: 2016، بلاغةُ الإقناع، دار كنوز المعرفة، ط 1، الأردن، ص 72.

[29] أحمد محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 122.

[30] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 288.

[31] أحمد محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 155.

[32] الكواكبي عبد الرحمان، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص 154.

[33] محمَّد الأمين الطَّلبة: الحِجاجُ في البلاغةِ المعاصرةِ، ص 78.

[34] الكواكبي عبد الرحمان، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص 179.

[35] المرجع نفسه: ص 144.

قائمة المصادر والمراجع

1. عبد الله صولة: 2001، الحِجاجُ أُطُره ومنطلقاته، الإدارة العامَّة للبحث العلميّ، ط 1، تونس.
2. سامية الدريدي: 2011، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديثة، ط 1، الأردن.
3. بروتون فيليب، جيل جوتيه: 2011، تاريخ تطور نظريات الحجاج، تر: صالح الغامدي، ط 1، السعودية،
4. محمَّد الأمين الطَّلبة: 2018، الحِجاجُ في البلاغةِ المعاصرةِ، دار الكتب الجديدة، ط 1،بيروت، لبنان.
5. عبد الرحمان الكواكبي: 2010، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، هنداوي، ط 10، مصر.
6. بدر شاكر السياب: 1995، ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، ط 2، بيروت، لبنان..
7. أحمد محمود نحلة: 2002، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط 2، مصر.
8. حمدي منصور جودي: 2018، الحجاج قراءة في البلاغة الجديدة، دار ابن كثير، ط1، دمشق، سوريا.
9. محمد طروس: 2005، النَّظريَّةُ الحِجاجيَّة في الدِّراسات البلاغيَّة واللِّسانيَّة، دار الثَّقافة، ط 1، المغرب.
10. سيّد قطب: 2008، مَعالمُ الطريق، دار الشروق، ط 3، سوريا..
11. محمّد إقبال: 2010، ديوان محمد إقبال، تح: سيّد الغوري، دار ابن كثير، ط 5، دمشق سوريا.
12. عبد العالي قادا: 2016، بلاغةُ الإقناع، دار كنوز المعرفة، ط 1، الأردن.